الفصل الثالث عشر

هجومات العدو التعرضية على كنزان

صارت الآن (كنزان) فى قبضتنا وتلاها بعد قليل (شوانجتنشيان) وضواحيها وكانت أعلامنا تخفق متخالة الدخان على رؤوس قوائنا المحتلة الآن لهذه المواقع التى كانت أصوات نصرها ترن فى الرياح كالصواعق وكانت (شوانجتنشان) هذه مهمة مثل (كنزان) ولذا كان لا يلزم أن كلا من هذين الموقعين يكون فى قبضة العدو وبما أن (شوانجتنشان) كانت غير قوية الاستحكام لم يمكن للروسيين أن يقاوموا بها كثيرا فوقعت غنيمة باردة لنا كالمثل القديم المتبع « عند ما تخاف وزه يختل خط الوز جميعه وعند ما يتقهقر بلوك ينهزم جميع الجيش » حقا عند ما فقد الروسيون (كنزان) التى كانوا يتكلمون عليها كثيرا سقطت (شوانجتنشان) كورقة شجرة ميتة وصارت (هسياوينجياؤ) ملكنا وهذه جزيرة موجودة فى يسار (شوانجتنشان) وكما ذكرت سابقا ظهرت البواخر الروسية فى هذه الضواحى وهاجمتنا من الجنب وهذه المحاولة كانت لخرق جانبنا بحربة حادة مؤثرة جدا ولكن دونمتنا ردت هذه البواخر على أعقابها الى بورت ارثور ولكنها كانت ترجع لاطلاق قنابلها علينا كلما سمحت لها الفرص بذلك ففى أثناء واقعة يوم ٢٦ كان يوجد ثلاثة أو أربعة بواخر مدفعية للعدو فى هذه الضواحى وهى عاقت كثيرا مهاجمتنا على (كنزان) و (شوانجتنشان) ولذا أمر الجناح

الايسر لقولنا الايسر بان يستولى على هذه الجزيرة وعليه صارت بعد قليل داخل دائرة احتلالنا وبذلك صار جميع خط أول مدافعة العدو حول بورت ارثور تحت علمنا

ولما كان كل قسم من جيشنا ناجحا فى هجومه يوم ٢٦ كانت النتيجة ذات فائدة عظمى إذ صرنا فى موقع مرتفع ينظر منه الى اسفل الى حركات العدو وهو بنفسه الذى كان يتجسس منه العدو أعمالنا وحركاتنا ولذا فانه ليس من الغريب أن الروسيين حاولوا أن يسترجعوا هذا الموقع المفيد ويقال أن القائد (استوسل) أمر جميع جيشه أن يسترجع (كنزان) مهما كلفتهم من الخسائر اذ انه لاغنى عنها للمدافعة عن بورت ارثور وهذا كان شيئا لازما طبيعيا لهم أما نحن اليابانيين فقد عزمنا على أن لا نعطيهم هذا الموقع مهما كانت درجة هجومهم التعرضى ومهما بلغت حيلهم الحربية فاذا كانوا مستعدين لتضحية كبرى فنحن كذلك فيا أيها الروسيون البواسل تقدموا وهاجمونا مرتين أو ثلاثة ان كنتم راغبين فى الندم بعد وما علموا أن لهم فى كل مكان ثعلبة

وكانت شمس نهار الصيف الطويل قد غربت وقد ملأ ضوء مستور بظلام السماء والارض بعد الموقعة وهواء سخن رديء يكنس الحشائش الملوثة بالدماء وهكذا ضوضاء المحاربة التى حصلت من مدة قصيرة تبعها سكون مرهب ما عدا بعض طلقات بنادق متفرقة كان يسمع صوتها الجبان وهذا كان اطلاق نيران العدو الهارب خوفا وكانت ذلك تسلية لنا وفى الحال انكست قمم الجبال بغيوم فصارت جميع السماء سوداء فى لحظة واتبع ذلك

البرق والرعد مصحوبين بنقط مطر تتساقط كالرصاص وكأن الطبيعة كانت تعيد منظر اليأس الدموى الذى اجريناه من زمن قصير أما هـذه المحـاربة الطبيعية فكانت أصعب على رجالنا اذ كان لا يوجد عندهم اشجار للوقاية منها وكان منظرهم كالفيران المبللة فى الماء ولقد أمضينا تلك الليلة فوق هذا الجبل معرضين الامطار صاغين الى صهيل الخيول فى الاسفل

ومن المعتاد أن الواقعة العنيفة يتبعها ريح شديد أو مطر فلما كانت الواقعة فى معمعتها اسودت السماء بدخان البارود فكان المنظر جميعه مظلما ومخيفا وفى الحال جاءت أمطار غزيرة ورعود مصمة لتنظيف الميدان من جميع الاوساخ وهذا المطر يسمى بكاء سرور المنصورين ومطر غم المغلوبين وهو أيضا دموع الحزن على رفاقنا المقتولين ولما كان من المحقق ان الليلة ذات العواصف مثل هذه يستعملها العدو لرد الموقع المفقود كنا على غاية الاحتراس لا كما يتصور العدو فقصف الرعد وهطول المطر كل هذا لا يجعلنا أقل انتباها وكنا كل مرة زادونا مستعدين لردهم خائبين من الباب شاكرين لهم زيارتهم بدون جدوى وكنا كلما نحتل مكانا كان حرسنا الساهر ينتشر حوله مستعدا لمقاومة مفاجآت العدو التعرضية فى أى لحظة وهذا ما نسميه شد رباط القبعة فى النصر

وبعد مضى سبعة أيام من استيلائنا على (كنزان) و(شوانجتنشان) ابتدأ العدو هجومه التعرضى فى منتصف يوم ٣ يوليو وكأنهم كانوا يحاولون استرجاع (كنزان) قهراً اذ نحو ٨٠٠ أو ٩٠٠ من بيادتهم كانوا يتقدمون بسرعة نحو (وانجشياتون) وأخذت طلبه بجيشهم موقعا فى (تاشيتونج)

وضواحيها وابتدأت تطلق علينا نيرانها بنشاط زائد ولما كنا نحن منتظرين ذلك صوبنا مدافعنا وبنادقنا عليهم أمامهم فكانوا فى غاية البسالة اذ كانوا يندفعون الى الامام رغما عن أمطار رصاصنا هذه ولكن نيراننا كانت كثيرة عليهم ولذا كانوا يقعون كصفوف الدبابيس تسعة تسعة والضابط الذى كان يتقدمهم وهو يهز سيفه الطويل مرتفعا في الهواء مندفعا نحونا بكل شدة وقع أيضا فى كل طلقة (طابور أتش) منا كانوا يقعون كاوراق الخريف عند ما يهزها الريح وبعد أن فكر العدو أنه غير قادر على ان يقابلنا ركن الى الفرار فى الاودية بدون نظام بالمرة فتقهقرت البيادة أما البطارية فانها لم تسكت بسهولة بل استمرت على اطلاق قنابلها على وسطنا بعنف ومن المحتمل أن رؤية البيادة المتقهقرة أفقدت الطوبجية شجاعتها اذ قلت ضوضاء الطلق حتى بعد زمن قصير سكن جميع خط القتال كأنه حلم فهتفنا (بانزى) مرارا

وهكذا محاولة العدو الاولى لاسترجاع كنزان لم تنجح ولما كان لرومليون مصممين على استرجاع الموقع المفقود ظهر عدد ممائل منهم الاول بعد قليل من هذا الانهزام فى جهة (تابيوشان) وكانت تصدح الموسيقى بقوة وقربوا من خطنا الاول ولما صارت المسافة بين الفريقين سبعمائة أو ثمانمائة متر فقط انفتحوا الى صورة طابور صارخين (ولولا) عاليا قاذفين بأنفسهم نحونا بيسالة متشجعين بأصوات الابواق والترومبيتات فقابلناهم بنار شديدة وسريعة قاتلين كلا من المتقدمين والمتقهقرين منهم معا حتى أن أحد أقسامنا تبعهم فكان ذلك صعبا على العدو الذى ولى الادبار راجعا نحو (تابيوشان) ورغما

عن الحقيقة البينة وهى أنه من المستحيل عليهم أن يهزمونا فانهم كانوا يكررون المهاجمة مرة بعد الاخرى مقدمين ضحايا من رجالهم كل مرة عازمين عزما أكيداً على استرجاع (كنزان) واصرارهم هذا مما كان يجعلنا نعجب بهم ويكونهم أهلا حقا لان يكونوا دولة كبرى وكما نحن عندنا روح ايايا توداماشى) الامينة الشجاعة لهم بسالتهم العظمى الخاصة بالجنس (السلافى) فزئير النمر يسبب وجود الزوابع وتنفس الدراجون (حيوان خرافى) يجمع الغيوم فى السماء فكل من الفريقين المتحاربين له عدو أهل لان يظهر له قوته

وفى الساعة ١ بعد منتصف الليل من اليوم الثانى أعنى يوم ٤ تقدم العدو تحت جنح الظلام وفاجأنا ونحن على (كنزان) بعشم مستقتل وكانت هذه الحركة بسرعة وحذاقة بكيفية بحيث انه لم تزعج شجرة أو حجر وتسلقوا المرتفع بدون غاغة وقتلوا ديده بانا (خفيراً) فجأة وانحدروا الى داخل معسكرنا بجمع كثيف مهللين رافعين سيوفهم وهازين بنادقهم فاختلطنا وحاربنا محاربة يأس وكان الظلام حالكا ولذا لم يمكنا معرفة الصديق من العدو بل الشىء الوحيد الذى كنا نستطيع عمله هو القطع أو الطعن على قدر الامكان بدون معرفة نحو من وكذا كنا لا نستطيع رؤية أى شىء بل كنا نسمع ونشعر بسقوط عدونا الثقيل على الارض وهذه مرة أخرى كان دفاعنا فيها شديدا على هذه القوة الهاجمة التى نزلت التل متقهقرة بخيبة ولكن بنظام وكنا جميعا معجبين ببسالتهم وعزيمتهم الثابتة حتى ان الذين تركوا مجروحين بالخلف كانوا يقاومونا بالبندقية أو السيف وخصوصا أحدهم فقد كان مجروحا جروحا بليغة وبينما هو على باب الموت اذرفع رأسه وتبسم

ابتسامة حزم وحذر

ولما خاب تصميم مفاجأتهم المرسوم فهمنا انهم يئسوا ولربما لا يكون عندهم الآن أدنى فكر فى مهاجمتنا ثانيا ولكن بعكس انتظارنا كانوا معلقين الامل فى غرض حصولهم على (كنزان) ثانيا تأتى واسطه فى فجر اليوم نفسه جربوا هجوما مفتوحا بقوة عظيمه وهذه المهاجمة كانت عنيفة خصوصا وقد أظهروا فى هذه المرة حزما أكثر من قبل فاستمرت طوبجيتهم على اطلاق النار علينا وتقدمت بادتهم مستوره تحت نيرانها وكان عدد جنودهم فى الخط الاول يزايد باستمرار وكأنهم كانوا عازمين على نزع (كنزان) منا مهما كلفهم ذلك ورغما عن موقعنا الحصين وعن تمرننا فى رد العدو مرارا على أعقابه فليس بالسهل هزيمة هذا الجيش الكبير ولكننا زدنا عدد رجالنا وقوينا استحكاماتنا على قدر الامكان منتظرين هجوما مثل هذا فيظن أن هذه الموقعة تكون هائلة كهجومنا على (كنزان) وكانت طوبجية العدو تزداد قوة كل ساعة واحتلت الارتفاعات الموصلة بين (وانجشياتون) و (ماوناؤكو) و (انتزولنج) وهلم جرا أما قوتهم الاصلية فكانت موجهة نحو (كنزان) والى موقع بادتنا عموما وكانوا يرمونا بقنابل الشرابنيل (التى تنفجر فى الهواء) بنشاط جدا حتى أنهم برهنوا أنهم من أحسن النشانجية وكانت مقذوفاتهم تقع بيننا بدون انقطاع دقيقة واحدة كمطر غزير أما بادتنا وطوبجيتنا فكانتا تطلقان طلقاتهما سريعا وحاولا بشدة أن يمنعا العدو من الاقتراب عازمين بنا على أنه لا يدخل حتى ولا خطوة واحدة فى الموقع الذى أخذناه بدمائنا وبالخصوص الذين كانوا فى (كنزان)

فقد كانوا فى أصعب حالة اذ أنهم ثبتوا أمام نار العدو الجهنمية وأوقفوا بكل صعوبة محاولة العدو للدخول فى موقعهم وكانوا أحيانا فى خطر التقهقر من المضايقة ففى ذلك الوقت كانت الضباط فى مقدمتهم يشجعونهم آمرينهم باطلاق النيران وهم محلقين الى العدو بعيون غاضبة وأفواه مزبدة وكانت الجنود تنظر باستمرار الى العدو وأيديهم تشتغل بدون انقطاع بزناد البندقية وقد جاهدوا بكل قواهم غير مقتصدين من ذخيرتهم التى كانوا يعتنون بها كثيراً في الاحوال الاخرى

وكانت تزداد النيران شدة وسرعة من الجانبين حتى ان الطيور كانت لاتجد منفذا لمرورها ولا الحيوانات ملجأ لاختفائها وكانت ألوف الرصاص والدانات تقطع الجو بصوت عال وكأن السماء والارض كانتا مرسحا لروايات الشياطين وكنا لا نقدر أن نتنبأ عن انتهاء هذا المنظر وكانت نيران الطوبجية حامية فشرابنيلاتها ذات الطابات الزمانية كانت تتطاير الينا ثم تفرقع على رؤوسنا قاتلة وجارحة رجالنا بدون رأفة وهذه الشرابنيلات كانت عند فرقعها تثير التراب والرمال أمام وخلف خط النار رافعة دخانا أسود وأبيض فى الحال أما مقاتلة طوبجيتنا لمقاومة هذا الهجوم الهائل المستمر كان فوق الوصف وكانوا يضطرون أحيانا الى تغيير موقعهم وقتيا وكان الفوز لاحد الفريقين على الآخر مجهولا اذ أن قوات العدو كانت تتقوى من وقت لآخر بجنود جديدة وكانوا يكررون الهجوم مرة بعد أخرى كما أننا قوينا خطنا بجزء من أمدادنا وزيادة على ذلك أرسلت بلوكات عديدة من الطوبجية الثقيلة (ذات المدافع الكبيرة) من (پانتؤ) الى (هوانجتيشوان)

و(تاشانجتون) وضواحيها وأيضا وضع قسم طوبجية البحرية الثقيلة فى (شا كوهو) فى الجنوب وبزيادة القوة فى كل من الفريقين كان كل منهما يريد افناء الآخر وكان القتال يزداد حمية واستمر دوى المدافع والبنادق من الفجر الى المساء ومع ذلك فأنها لم تقل بعد هذا الوقت وكأن العدو كان بتأثير نيرانه الحامية يستفيد بالهجوم علينا تحت ستارها ولكن كلما يزداد القتال حمية يزداد انتباهنا وكنا نعمل فى كل وقت لانتهاز فرص عمل هجومات تعرضية شديدة وكانت أشعة الشمس الغاربة الحزينة تضىء منظر الميدان الكئيب مع أفق رمادى غاسق الذى كان يزيد المنظر انقباضا وكان هذا الحزن ممزوجا بتشوقنا لمعرفة نتيجة يوم القتال هذا وهل تنقضى المحاربة اليوم بدون نتيجة ؟ كلا بل العدو كان لا يريد أن يوقف القتال عند مجيء الليل بل بالعكس كان مصمما على عمل هجوم عام علينا ليلا ولذا استمر على أطلاق النيران من الصباح الى المساء حتى يتعب أجسامنا ويفنى ذخيرتنا ولكننا كنا عارفين فكرتهم هذه ولذا بتنا الليل كله بزيادة احتراس وتيقظ

وكما كنا ننتظر ابتداء جميع خط العدو فى التحرك متأخرا فى الليل محاولا أن يضرب (كنزان) ويأخذ المحل بضربة واحدة هائلة وقد أتوا علينا بغضب وتغيظ وكانت سونكياتهم تلمع فى الظلام الحالك كانعكاس الشمس على الثلج وكان لصريخهم (وولا) صوت كزئير المئات من الحيوانات المفترسة وهنا حان الوقت لنذيقهم شدة بأسنا فابتدأنا نمطر عليهم نارا حامية وكنا متحققين أن العدو سيهزم ولا محالة أمام هذه النار الحامية وبذلك كان صراخ (وولا) يقل وضوء سيوفهم قد خفى فى الظلام وأخيرا رجع جميع

الخط الى السكينة التامة حتى صرنا نسمع الحان الحشرات داخل الحشائش وعويل الروسيين الجرحى المتروكين فى الميدان وكان فى السماء غيوم عالية وواطئة تهددنا بالمطر فى أى وقت أما عيوننا فأمطرت نقطة أو اثنتين رغما عنا على اخواننا الذين قتلوا فى الموقعة

وعند ما جمعت الاستعلامات فيما بعد وجدنا ان عدد الروسيين الذين بدأوا الهجوم مبكرين فى الصباح كانوا نحو الالف تقريبا ثم ازدادوا تدريجيا حتى صاروا خمسة آلاف وأخيراً صاروا زيادة عن عشرة آلاف وزيادة على ذلك كانت بعض بواخر مدفعية العدو تظهر عند شاطىء (لوانجوا تيانج) وتطلق نيرانا بشدة على وسطنا وجناحنا الايسر ومع هاتين القوتين البرية والبحرية الكبيرتين العاملتين معا لم يتم العدو غرضه وكل حيلة ومكيدة لم تنجح نحونا ويظهر أنهم بعد هذه المحاولة الرابعة الاشد مماسبقها جميعا فقدوا كل شجاعة وعشم اذ أنه لم يحصل بعد ذلك أى هجوم على (كنزان) بل الشيء الوحيد الذى استمروا فى عمله هو استكشاف معسكرنا واطلاق نيران بطيئة ليلا ونهاراً مصحوبة ببعض مهاجمات ليلية وذلك لحماية وستر الاعمال الدفاعية التى كانوا ينشئونها بغاية السرعة على طول ارتفاعات (تابيوشان)